

الباب الثالث

عيوب الفصاحة

ويتكون من فصلين :

الأول : عيوب الكلام :

الثاني : عيوب الكتابة :

obeikandi.com

نرى أن استكمال هذا البحث يتطلب منا أن نعرض الجانب الآخر للفصاحة، ونعني به معوقات الفصاحة أو عيوب الفصاحة، فقد تصاب الفصاحة بأمراض تسبب لها الفناء والتقويض، والفصاحة في ذلك كأي ظاهرة أو علم، لها ما يقويها ويدعمها من العوامل والشروط التي ترتقي بها، وتقربها من الأذهان، وتجعلها نافعة في حياة الناس، كما لها من المعوقات التي تصيبها بالجمود والتخلف، وتمنعها من الوصول إلى الأهداف المرجوة لها، وتنفي عنها صفاتها الأساسية التي تجود معالمها وخصائصها بين الظواهر أو العلوم الأخرى.

أغلب أسباب الازدهار والتطور، أو الانحطاط والجمود المتعلقة بعلم أو فن ترجع أول ما ترجع إلى الإنسان القائم على هذا العلم أو ذلك الفن، وهذا ينطبق تماما على الفصاحة، فتوجد الفصاحة، وتزدهر بالفصحاء القائمين عليها، الحريصين على إمرارها في كلامهم المنطوق، أو في كتاباتهم المختلفة. كذلك تصاب الفصاحة بالفساد والفناء بسبب الناطقين الذين انتفت عنهم صفات الفصاحة، أو الكتاب الذين عجزوا عن مراعاة شروطها وتوافر أسبابها.

ومن ثم فإننا سنصنف تلك العيوب التي تعبر عن الجانب السلبي للفصاحة إلى مظهرين يضمنان أقساما أخرى، ونعني بهما:

أولا: العيوب المتعلقة بالكلام المنطوق.

ثانيا: العيوب الخاصة بالكتابة.

وهذا التصنيف لا يخالف كثيراً منهجنا الذى سلكناه فى البابين السابقين ،
 ونعنى به التصنيف العام الذى يدور حول فصاحة الكلمة ، وفصاحة الكلام
 وفصاحة المتكلم ، وفى الحقيقة نرى أن حديثنا عن العيوب المتعلقة بالكلام
 المنطوق ، سيتناول إن شاء الله فصاحة المتكلم وفصاحة الكلام والكلمة ، كما أن
 تناولنا لعيوب الكتابة سيشمل أيضاً فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام ، فلا
 اختلاف فى نظرنا بين التصنيفين الأول والثانى .

وحديثنا عن عيوب الفصاحة مجال يتسع فيه القول ، لكننا سنحاول
 — إن شاء الله — أن نأخذ الجوانب التى يتعلق ببحثنا ، محاولين أن نتجنب
 الاستطراد الذى يبعدنا عن هدفنا المرجو ، لكننا فى نفس الوقت سنبتعد عن
 الإيجاز المخل .

الفصل الأول

عيوب الكلام

obeikandi.com

نمى بالكلام هنا الكلام المنطوق الذى يبدو فى صورة أحاديث وخطابة ،
أى الكلام المؤدى ، لان الكلام المكتوب شىء آخر ، لانه قد افتقد كثيراً من
صفات الكلام المنطوق .

وعيوب الكلام المنطوق نقسمها على أساس مصدر العلة أو العيب ، وليس
على أساس المظهر الخارجى للعيوب الكلامى ، وهذه العيوب قسمان هما :

أولاً : عيوب عضوية Organic

ثانياً : عيوب وظيفية Functional

ويصنف تحت هذين القسمين مظاهر كثيرة خارجية تأخذ صوراً مرضية متنوعة.

أولاً - العيوب التى ترجع الى أسباب عضوية :

ومن المعروف أن نطق الاصوات يحدث بأعضاء النطق ، وهذه الأعضاء
لها وظائف أساسية أخرى غير النطق ، كالتنفس لتغيير الهواء فى الرئتين والقصبية
الهوائية ، أو كضغ الطعام وتحريكه وتذوقه مما يقوم به اللسان ، كذلك
الإنسان واللثة والحنك واللسان والشفة ، فهذه الأعضاء كلها لها وظائف غير النطق ،
وعملية النطق وظيفة أخرى تقوم بها إلى جانب قيامها بوظائفها الأساسية .
وإصابة أى عضو من هذه الأعضاء يؤدى تبعاً لذلك إلى قصور فى وظائفها
الأساسية أو الثانوية ، فالكلام الفصيح قد يصيبه القصور بسبب ما أصاب
أعضاء النطق ، والإصابات التى تحدث لأعضاء النطق نوعان :

(١) خلقية :

فقد يولد الإنسان وفى أعضائه النطقية بعض القصور أو الزيادة التى تعوق
الكلام الفصيح ، من ذلك الحالات النادرة التى يكون فيها سقف الحنك مفتوحاً ،
أو لا يفصله فاصل عن التجويف الأنفى ، ومثال ذلك التواءات التى تحدث بالإنسان
وكذلك أن يولد الإنسان مشقوق الشفة ، وكذلك وجود بعض من الالتحام

بين جزء وآخر من هذه الأعضاء . هذا بالإضافة إلى ما قد يكون بالمنخ أو الفقد الصماء من أشياء خليقة مخالفة لعامة الناس أو الأسوياء .

وكل هذه الأشياء الخلقية تسبب قصورا في أداء وظائف الأعضاء التي أصابها فالقصور في مركز الجهاز العصبي أو المنخ قد يؤدي إلى العجز التام عن النطق أو العجز الجزئي، أما العيوب الخلقية بالأعضاء الأخرى فإنها تؤدي إلى إفساد الفصاحة كالإصابة بالشلل بأوعاها ، والحبسة التي تنتج عن عوامل مختلفة، كما قد تصيب الناطق باللغة ، وغير ذلك من تلك العيوب التي قد تنتج عن أسباب أخرى للقصور في الأعضاء .

(ب) مرضية :

وقد تخلق الأعضاء التي تستخدم في النطق صحيحة سليمة ، لكن قد يصيبها في مرحلة ما من عمر الإنسان ما يثقلها أو يشوهها ، أو يصيب تركيبها بالخلل ، مثلما يحدث للأنسان مثلا أو اللسان أو الشفتين ، كما قد يصيبها أشياء عارضة تزول بزوال مؤثراتها ، كالأعراض العارضة التي تصيب الأنف والفم والحلق والرتين والوترين الصوتيين .

وهذه الإصابات المرضية تؤدي بدورها إلى قصور في النطق ، وهذه العيوب المتعلقة بالنطق سنتناولها بالتفصيل إن شاء الله .

لكن قد يطرأ على أعضاء النطق عوارض مرضية أو إصابات مفاجئة تؤدي إلى فقدان النطق مثل تلك التي تحدث في المنخ ، والمنخ مركز للجهاز العصبي كله ، إليه ينتهي الكلام ، ومنه يصدر أيضا ، ولقد تعددت وجهات النظر في تفسير العلاقة التي تربط اللغة أو الكلام بالمراكز العصبية فيذهب البعض إلى جعل الطبقة التي تغطي المنخ cortex مقسمة إلى مناطق أو مراكز ، وهي الطبقة التي تسمى (الطبقة السنجابية) أو (اللحم) ، وهذه الطبقة يعتقد أنه يتم فيها

عملية التنسيق الخاصة بالجهاز العصبي ، ويرى علماء وظائف الاعضاء وعلم النفس أنها ثلاث مناطق هي منطقة الحس ، ومنطقة الحركة ، ومنطقة الترابط ، ويرون أن منطقة الترابط لها دور كبير في التعليم ، لأنها تقوم بربط مناطق الحس والحركة معا .^(١)

وهذا الرأي يقابله رأى آخر ، ينسكرون تكون اللغة مراكز مميزة ، وإنما يدور هذا الرأي حول النظرة التي ترى أن الكلام شأنه في ذلك شأن أى نشاط عقلي أو جسماني آخر يتطلب نشاط جميع المخ .^(٢)

ولا تعيننا في هذا المقام الاختلافات التي نشأت عن تلك النظريات أو وجهات النظر ، وإنما يعيننا أن نبين أن ثمة علاقة وثيقة بين سلامة المخ والفصاحة ، كما أن ثمة علاقة وثيقة بين المخ الذي قد أصابه قصور والتفاسد الذي قد يلحق بالفصاحة ، وهذا لا يمنعنا من الإشارة إلى الرأي الذي يأخذ به أكثر علماء النفس ، عندما ينظرون إلى علاقة اللغة بالجهاز العصبي ، وخاصة اللحاء أو الطبقة السنجابية ؛ وتتلخص وجهة نظرهم في أن هناك نصفين في الدماغ ، وأن كلامهما يحكم الطرف الآخر المعاكس للبدن ، لكن مركز التحكم في أعضاء الصوت يوجد في موقف وسط ، ولهذا يسيطر المصفان على عمليات إخراج الصوت ، ويعتبر طومسون Thomson من أشهر الذين فصاوا هذه الفكرة ، فهو يرى أن نصفي الدماغ يسيطران معاً على أعضاء الصوت في حالة إخراج الضوضاء ، أو القيام بعمليات البلع والعمليات الأولية الأخرى المماثلة ، لكن حين يأتي الأمر إلى اللغة والكلام

1 — How The Brain works By : S. L. Franz P. P. 29-32
— Social psychology By ; Allport: P. P. 29 — 30

2 — The Backward child By : C. Burt. p p. 325 — 327

نجدته يرى أن النصف الايسر هو الذى يسيطر فى حالة الشخص الايمن، وأن النصف الايمن هو الذى يسيطر فى حالة الشخص الايسر (٣) .

هذا عن اللحاء أو عن المخ بوجه عام ، أما عن أعضاء النطق الأخرى فقد تصاب بما يغير وظائفها ، ويقلل من فصاحة المنكلم مثلما يحدث فى حالات المخصيين الذين تتغير أصواتهم ، ومثل سقوط بعض أو كل الأسنان ، أو ما قد يصيب الورثين من عوامل تؤدى إلى شدهما أو إرتخائهما ، ولقد تناول الجراحون قديما هذه الحالات فى كتابي الحيوان والبيان والتبيين ، وسنذكر طرفا منها فى حينه إن شاء الله .

هذه هى بعض الأسباب أو العلل التى تسبب عجزا أو قصورا فى النطق ، وهى علل متصلة بالأعضاء التى قد تصاب بتلف أو عجز بسبب الخلقة أو بسبب المرض ، وينتج عن ذلك عجز عن كل أو بعض الكلام ، مما يفقد الإنسان فصاحته .

ثانيا عيوب ترجع الى أسباب وظيفية :

قد تكون الأعضاء المؤدية للكلام صحيحة سليمة من الناحية اخيوية (البيولوجية) ، لكن قد تسبب لها عوامل أخرى ما يجعل وظائفها مؤداة بطريقة غير كاملة ، وهذه العوامل التى تصف الوظائف بالنقصان قد تكون داخلية فى الإنسان نفسه أو خارجية محيطة به ، والعوامل الداخلية قد تكون إرادية أو مزاجية ؛ مثل تكلف المتكلم فى نطقه رغبة منه فى أن يصنع نطقه معينة بصيغة كأن يتشادق ، أو يتفريق أو يدخل على نقطه اللغ أو الغنة ، ويكون ذلك بنقل مخارج الحروف ، أو إشراك بعض المخارج فيما ليست له ، ومن ذلك ميل بعض النساء

3 — Instinct, Intelligence and character By: Thomson (G. H.)
P, 104 London 1949

انظر فى ذلك أيضا ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة
ص ٢١ د . صالح وشماح .

عل وجه الخصوص إلى إدخال بعض اللغ في نطقهن لبعض الحروف، كما يحدث في الراء رغبة منهن في التدلل ، ومثلا بفعالن في بعض الحروف المطبقة، كالطاء التي يحولنها إلى تاء ، والضاد إلى دال ، وكما يحدث أيضا في تحويل القاف إلى كاف أو همزة .

أما العوامل الداخلية غير الإرادية فهي مرتبطة بمؤثرات خارجية ، أي بعوامل نفسية أو اجتماعية ، أي أن المتكلم قد يحاط في بيئته بما يدفعه إلى سوء العادة في نطقه ، فالسكلام ليس مقاطع صوتية فقط تحدثها أعضاء النطق ، بل هو ما تحمله الأصوات أيضا من معان ، وانفعالات ، ورغبات مرتبطة بمثيرات خارجية حوله ، وهذه العوامل المختلفة يمكن أن تصنف ضمن عاملين هما : العامل النفسى ، والعامل الاجتماعى ، وهذان العاملان يمكن أن يلقيا ضروا على عيوب النطق لدى الاطفال الذين التصقت بهم عثرات في نطقهم ، وظلت ملازمة لهم في شبابهم ، فقد يكون عدم توافق الإنسان مع بيئته وخاصة الطفل ، واعتقاده أن موقفه من أى شىء يمكن أن يجلب له الأذى - يؤدي إلى التردد والخوف ، ويقوض التوافق الذى بينه وبين بيئته ، وهذا الشعور الذى يحس به نحو بيئته يسبب له معوقات كلامية ، مثل التهمة أو اللجاجة التي قد تصاحبه في مراحل حياته المختلفة ، مما ينشئ عن كلامه صفات الفصاحة ، ويمكن أن نطلق على تلك الظروف المحيطة بالإنسان عند طفولته والتي تؤدي إلى قتل فصاحته (بسوء النشأة) ؛ فالعامل الاجتماعى يسبب تبعا لذلك عاملا نفسيا ، فالطفل الذى تحيط به ظروف بيئية سيئة قد يتولد عنده الشعور بالخوف والتردد ، وعدم الثقة ، بل ربما تؤدي به تلك الظروف إلى شخصية عصبية Neurotic كما أن تدليل الابوين لاطفالهما أو إهمالهما يؤدي إلى السكلام غير السوى .

ولا يقتصر الأمر على الناطقين فقط بل هناك عوامل تؤثر في الفصاحة تتعلق بالسامعين، وقد يؤدّي الكلام بأعضاء سليمة للنطق، لا تؤثر فيها عوامل داخلية أو خارجية، ولا تتخلف صفة من صفات الفصاحة عند أداء المتكلم، لكنها قد تجد أذانا غير مستجيبة لسماعها، أي أن الكلام الفصيح المنطوق يجب أن يلقى مكانا صالحا ليستقر فيه، وتظهر فيه ثماره، فالسامع يجب أن تكون حالته الشعورية متوافقة إلى حد ما مع ذلك الكلام الفصيح الذي وقع في أذنيه، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه مراعاة المقام، أو القرائن المصاحبة للكلام. والكلام الذي لا يترك أثرا في سامعه، ولا تكون له استجابة لديه، يفقد كثيرا من قيمته لدى هؤلاء السامعين.

ولقد استقرت نظرة اللغويين وعلماء النفس على أن الكلام تكتمل مقوماته بالمتكلم الفصيح، والمستمع الجيد، لكننا نرى عاملا آخر له آثاره التي لا يستهان بها، ونعني به الوسط الموصل بينهما، فلا بد أن يحمل الكلام من أجهزة النطق عند المتكلم بموصل صادق أمين حتى تلقاه أذن السامع، وهذا الموصل هو الهواء الذي يمتلئ به الكون، ومن الواضح فيزيائيا أن الوسط المفرغ من الهواء لا يوصل الصوت، فالهواء هو الذي يحمل الصوت بجميع صفاته لينقلها إلى الأذن، لكن هذا الوسط الموصل قد تداخله بعض الأصوات الخارجية التي قد تفقد الصوت المحمول بعض خصائصه.

كل هذه العوامل الحلقية والمرضية، وما يتصل منها بالأعضاء أو الناحية الوظيفية تؤدّي — بنسبة ما — إلى انتقاص فصاحة المتكلم، أو الفصاحة المنطوقة، وهذا الانتقاص يظهر في صورة عيوب في النطق، ونستطيع أن نوضح هذه العيوب النطقية في مظاهر متنوعة، وقد تنبه الأقدمون إلى كثير منها ونهوا إلى خطورتها،

وهى كما يلي :

١ - البكم والخرس والصمم : -

والبكم Mutisme يقال : إنه النطق مع عي أو بلة .
وقيل إن الأبكم : هو الذى يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر .
أما الخرس فقد قيل فيه : إنه المنع عن الكلام خلقة .
وقيل هو منمقد اللسان عن الكلام وقد أخرسه الله (٤) .
والصمم هو المنع عن السمع .

وهذه الصفات ليست عيوباً فى فصاحة الكلام فقط ، بل هى عيوب فى الإنسان الذى حرم الكلام والسمع ، فليس هناك كلام حتى يوصف بالفصاحة أو عدمها . ومن ثم فإن آفات البكم والخرس والصمم قاتلة للفصاحة والكلام .
وهذه العيوب فى أغلب حالاتها تكون خلقية ، لكن قد يحدث الخرس والصمم فى مراحل متأخرة من عمر الإنسان . والذين يولدون بالمعاقات السابقة لا يكتسبون فصاحة بعد ذلك ، ومع ذلك فهناك حالة نادرة ومشهورة هى حالة (هيلن كيلر) الأمريكية Helen Keller التى ولدت سنة ١٨٨٠ م ، وتتلخص حالتها فى أنها قد أصيبت بفقد السمع والبصر وهى فى شهرها العشرين ، فلم تكن قد حصلت من لغتها القومية إلا القليل الذى لا يفي برغباتها ، ولم تستطع بعد ذلك أن تتعلم ألفاظاً وجلاً تعينها على التعبير اللغوى ، ويقال : أن أمر تربيته قد تولته سيدة اسمها (آن سليفان) فأخذت تعلمها الأشياء عن طريق اللمس ، كأن تأخذ لعبة وتضعها فى يدها وتكتب لها فى يدها الأخرى (لعبه) ، ثم تكرر ذلك عدة مرات ، حتى تستطيع أن تدرك الحروف التى تتكون منها هذه الكلمة ، وأن تكتبها كلما أرادت ، فعلمتها بذلك كتابة الحروف والكلمات ، ثم انتقلت بها إلى تعليم القراءة من كتابذى حروف بارزة ، ثم علمتها بعد ذلك النطق عن طريق مخارج النطق باليد حتى تعلمت نطق الكلمات والجمل ، وبهذا

(٤) الانصاح فى فقه اللغة الباب الثالث ص ٢١٢ .

قامت اليد مقام الاذن في إدراك المسموعات . ويقال : إن (هيلين) قد دخلت المدرسة وتعلمت المواد الدراسية ، ودخلت الجامعة ، وتفوقت على غيرها من الأصحاء ، كما تمكنت من كتابة الشعر ، وتأليف الكتب^(٥) ، وينسب إليها بعض الكذب مثل :

The Story of My Life, and the World I live in,

وهناك عيوب في نطق المتكلم أقل درجة من البكم والخرس مثل :

العي : هو العجز عن النطق .

والخصر : هو امتناع الكلام والقراءة على صاحبه .

والفهاة : هي أن يصاب الإنسان بالكلالة والعي .

الارتاح : هو استغراق الكلام عند طلبه بسبب الخصر أو العي أو النسيان .

وهي معان قريبة ، أو صفات مختلفة لمعاجز عن الكلام ، وهناك صفات أخرى

مثل : الكهام : وصف للسان الكليل عن البلاغة ، ومثل : المفجم : صفة للمهزوم الذي لم يجد جوابا يدفع به حجة خصمه .

٢ - احتباس الكلام وثقل اللسان :

ويصنف تحت هذا المظهر من عيوب النطق مجموعة أمراض كلامية

تعرف باسم Aphassia^(٦) ويترجم علماء النفس هذه المفظة بكلمة (حبسة) أو (عقلة) .

والحبسة : هي تعذر الكلام عند إرادته ، وهي خلاف الطلاقة التي هي

صفة من صفات الفصاحة ، ويقال : في لسانه حبسة : أي ثقل يمنع من الإبانة .

(٥) اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها د . عبد العزيز

عبد المجيد ص ٣٥ - ص ٣٦ .

(٦) أمراض الكلام تأليف الدكتور مصطفى فهمي ص ٥٩ الطبعة

الرابعة سنة ١٩٧٦ .

والعقلة : هي اعتقال اللسان وامتساكه ، وهو استعمال مجازى أصله الاعتقال الذى يحدث للدابة عندما تربط بحبل يمنعها من الفرار ، وعجز اللسان عن أداء وظيفته يبدو وكأنه مقيد بمقال .

وهناك درجات من احتباس الكلام وثقل اللسان أخف من الحبيسة والعقلة هي :

الاثوثة : البطء فى الكلام .

الرثثة : التردد فى الكلام ، والارت : الذى يتردد فى الكلمة وألا تكاد كلمته تخرج من فيه .

٣ - عيوب طلاقة اللسان :

وهى عيوب قد تصيب السلاسة وطلاقة اللسان Fluency ، وأهم صورها التهمة أو اللجلجة ، وهى عيوب تتمثل فى ثقل اللسان وتردده ، والمجلج : هو الذى يردد الكلمة فى فيه ولا تكاد الكلمة تخرج منه ، وهذه العيوب قد تطلق عليها الرثثة أو الاثوثة أيضاً . وقد تطلق التهمة Stuttering على أكثر اضطرابات الكلام لأنها أشهر عيوب الكلام التى يلاحظها علماء النفس ، وعلماء الأصوات لدى الصغار والكبار .

والتهمة تكون بتكرارات آلية غير مكونة للمقاطع الصوتية أو الكلمات ، وقد تكون أيضاً بإعالة الأصوات الأولى فى المقاطع أو الكلمات عن طريق زيادة النغمة أو كمية الصوت ، ويضيف علماء النفس صوراً أخرى للتهمة ؛ كأن يتحرك الفك دون إخراج أى صوت ، أو كإدخال بعض الأصوات القصيرة ، أو الكلمات التى لا محل لها فى تكوين الجملة (٧) .

(٧) انظر فى ذلك ما كتبه هاريمان فى موسوعة علم النفس تحت مادة باثولوجيا الكلام :

Encyclopedia of Psychology : Harriman (editor).
New York 1946.

ويجب أن نلاحظ الفرق بين التتهمة التي تلازم كثيرا من الاطفال ، وما قد يصاحب الكبار من التتهمة ، فمن المسلم به أن التتهمة ظاهرة مرضية في الاطفال والكبار ، لكنها قد تكون وقتية عند الاطفال ، أما إذا استمرت مع الطفل في مراحل عمره التالية فإنها تستوجب الرعاية المضاعفة ، وقد توقفنا عند مسببات أمراض الكلام أو معوقات النطق في بداية حديثنا في هذا الفصل ، ونستطيع أن نقول : إن أكثر تلك الحالات التي تظهر فيها التتهمة عند الكبار يكون سببها متصلا بتلف أو عيب عضوي ، وخاصة في المركز العصبي ، وهذا لا يمنع أن يكون للعوامل الأخرى نصيب في ذلك التأثير . ويؤكد علماء النفس أنه لا توجد أي خصائص بدنية تميز أصحاب التتهمة من غيرهم^(٨) . ويؤكدون على العوامل النفسية ، مثل نزعة الإلحاح وروح التأديب في بعض الأمور ، كالنظافة وآداب المائدة وغير ذلك مما يدق فيهِ الآباء ، ومن الأسباب الهامة أيضا تعليم الأعر استعمال يمانه . ويرى هاريمان في مادة (باثولوجيا الكلام) التي كتبها في المرسعة النفسية ، أن أي طريقة لعلاج التتهمة غير قابلة للتعميم مهما كان نجاح تلك الطريقة ، وربما يرجع ذلك إلى تعدد مسببات التتهمة .

وخلاصة القول في التتهمة أنها آفة من آفات الفصاحة تصيب المتكلمين من عدة اتجاهات ، وقد يسهل علاجها إذا لم تكن أسبابها عضوية .

والتكرارات الصوتية الآلية لا تطلق على التتهمة فقط ، وما يقال عن التتهمة يقال أيضا عن ظواهر مرضية لطلاقة اللسان مثل :

التمتمة : وهي رد الكلام إلى التاء والميم ، وتكرار ذلك بطريقة آلية أيضا الفأفة : وتكون بتعدد حرف الفاء .

النجمة : هي إخفاء الشيء في الصدر ، وهي ألا يبين المتكلم كلامه .

(٨) ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة د . صالح الشماع ص ١٥٧ .

انظر أيضا : أمراض الكلام للدكتور مصطفى فهمي فيما كتبه عن اللجاجة ص ١٦٣ - ١٩٤ ، وعلاجها ص ١٩٧ - ص ٢٢٧ .

الهيئة : والمتكلم الموصوف بها لا يفهم كلامه، ومثلها الدندنة وهى الكلام الخفى الذى لا يفهم .

الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت لا تستعمل اللسان ولا الشفة، لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض .
الضعضة : أن يتكلم فلا يبين كلامه .

التثغنة : تتابع الكلام فى عجلة واضطراب ، وتكون بتحريك المتكلم أسنانه فلا يبين كلامه ، والكلام المثخن هو الذى به خلط .

التثغنة : تكون للشيخ الذى لم يفهم كلامه لسقوط أسنانه (٩) .
وهى ترديد الصوت بغير أن يسمع ولا يبين .

وهذه صفات لتكرار الصوت فى الفم بصورة مرضية ، وهى لا تؤدى إلى كلمات صحيحة سليمة ، وهذه الصفات المختلفة قد يطلق عليها التهمة أو اللجلجة ، وهى فى جملتها آفات للطلاقة والفصاحة التى يتصف بها المتكلم .

٤ - عيوب إبدائية وصوتية :

وهى عيوب تصيب نطق المتكلم الفصيح ، وقد تكون بطريقة إبدائية لمواضع النطق أو مخارج الحروف Points of Articulation ، وينتج عن ذلك الإبدال نطق صوت مخالف للصوت أو الحرف المراد نطقه كما يحدث فى بعض أنواع اللغة التى ترجع بعض أنواعها إلى عيوب صوتية Voice Disorders ، والعيوب الصوتية أو اضطرابات الكلام وصف عام لأنها تشمل الإبدال وغيره ، وأظهر هذه الحالات المرضية التى يتمثل فيها الإبدال ما يعرف باللغة .

والثغنة : Lispng من العيوب الشائعة فى الصغار والكبار، وهى تنشأ عن تغيير مخارج الحروف كما أشرنا ، مثل جعل السين ثاء ، أو جعل الراء غينا أو

ياء ، وقد يكون ذلك الإبدال ناتجا عن عيب خلقي بيولوجي ، أو عيب وظيفي أو فسيولوجي ، فقد يكون اللسان به التصاق غير طبيعي من أسفله مع أسفل الفم ، فتقيّد حركته من الامام قليلا مما يمنعه من أداء وظيفته كاملة عند نطق الحروف الامامية مثل الراء والسين . وقد تكون ثانيا الفم غير منتظمة أو بها تنوءات تعوق اللسان السليم من حركته الطبيعية ، فيتسبب عن ذلك انزلاق ، أى أن بعض الحروف التي تشترك فيها اللثة أو أصول الشايات لايتاح للسان أن يرتكز عندها بسبب تلك العيوب السنية ، فيسقط إلى أسفل فيما بين الشايات كما يحدث في لغة السين التي تتحول إلى ثاء ، ويمكن أن يخرج إلى منخرج بعيد عنه كثيرا ، مثلما يحدث في لغة الراء التي ترد إلى أعلى الخلق لتشبه الغين ، ويرى أبو عثمان الجاحظ أن الحروف التي تدخلها اللغة أربعة أحرف هي : القاف ، والسين ، واللام ، والراء ، كما يرى أن هناك لغة خامسة هي لغة الشين ، ولم يذكرها مع الأربعة السابقة لأن الخط العربي لا يصورها ، وإنما تخرج من مخرج مخالف للحروف المعروفة له ، ثم يوضح الجاحظ بعد ذلك اللغات التي تعرض لتلك الحروف وهي :

اللغة التي تعرض للسين تكون ثاء ، مثل بُثرة إذا أرادوا بُسرَد ، ومثل : بسم الله إذا أرادوا بسم الله .

اللغة الثانية هي التي تعرض للقاف : ويلاحظ الجاحظ أن صاحبها يجعل القاف طاء ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : قلت له ، وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال طال لي .

أما اللغة التي تقع في اللام فلها صورتان عند الجاحظ :

الحالة الأولى : هي التي يجعل أصحابها اللام ياء فيقولون : جى بدلا من جمل .
الحالة الثانية : ويجعل أصحابها اللام كافا ، ومثال ذلك عندهما عرض لرجل اسمه صمر ، فانه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ؟ قال : مكتمكة .

والملاحظ أن الحالة الثانية للغة غريبة علينا، وهذا لا يعني أنها لم تكن موجودة في بيئة الجاحظ وأنه الجاحظ لم يلاحظها .

أما لغة الراى فهي كثيرة وتدور على ألسنة كثير من المتكلمين، ولغة الراى عند الجاحظ تقع في أربعة أحرف هي :

جعل الراى ياء ، فإذا أراد صاحبها أن يقول : عمرو ، قال : عمى .

جعل الراى غينا ، فإذا أراد صاحبها أن يقول : عمرو ، قال : صمغ .

جعل الراى ذالا ، فإذا أراد صاحبها أن يقول : عمرو ، قال : عمد .

جعل الراى ظاء ، فإذا أراد أن يقول مرة قال : مظلة (١١) .

وفي الحقيقة نرى أن الجاحظ قد استوفى أنواع اللغ ، بل قد أورد نظرة المجتمع لكل منها ، وخاصة اللغة التي تحدث للراء، ويقول الجاحظ : «... واللغة التي في الراى إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعن لذى المروءة ، ثم التي على الظاء ثم التي على الذال ، أما التي على الغين فهي أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه جهده ، وأحد لسانه ، وتكلف مخرج الراى على حقا ، والإفصاح بها ، لم يك بعيدا أن يجيبه الطبيعة ، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا » (١٢) .

كما يذكر الجاحظ أشهر اللغات ، وهي تلك التي عرفت لدى أصحابها المشهورين مثل لغة واصل بن عطاء ، ولغة موسى عليه السلام ، ولغة محمد ابن شبيب المتكلم ، وأسهلها لغة محمد بن شبيب التي كانت تقع في الراى التي تصير غينا ، وصاحبها كان يستطيع أن يحمل نفسه على تركها ، ولكنه كان يتركها ،

(١٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ - ص ٣٥ .

(١١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٥ .

(١٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦ .

ويقول الجاحظ : أنا سمعت ذلك منه (١٣) .

أما لغة واصل بن عطاء فإنها كانت في الراء أيضاً ، لكن الجاحظ يرى أنها غريبة ، ولا تقع في الحروف الأربعة السابقة ، ويبدو أنها كانت متمكنة منه ولم يستطع التخلص منها أو تخفيفها ، من أجل ذلك تجنب واصل بقدر ما يتاح له الكلمات التي بها راء ، ولم تتح له مقدرة إسقاط الراء من كلامه إلا بعد تدريب طويل ، وثقافة لغوية واسعة ، حتى صار يخطب ويجادل خصومه بكلام خال من الراء .

لكن نجاح واصل بن عطاء في تجنب الراء من كلامه قد دفعه أحياناً إلى استخدام كلمات غير مشتملة على الراء ، ويعلم أنها أقل فصاحة من غيرها (١٤) ، فكان واصل بن عطاء إذا أراد أن يذكر (البر) قال : القمح أو الحنطة ، والحنطة لغة كوفية ، والقمح لغة شامية ، وهو يعلم أن لغة من قال : بر ، أفصح من لغة من قال قح أو حنطة .

ومن العيوب الإبدالية أيضاً ما يعرف عند القدماء العرب باسم :

الملكنة : وهي عيب يرجع إلى عجز الناطق عن اكتساب عادات النطق الخاصة باللغة الجديدة التي يريد أن يتكلمها ، فتلتصق تلك العادات التي نشأ عليها وتعلمها من لغته الأم ، ولا يستطيع التخلص منها بسهولة عند تكلمه باللغة الجديدة ، وهذا لا يعني أن الملكنة تلازم كل متعلم للغة أجنبية ، بل هناك من ينطقون اللغات الأجنبية بطلاقة دون أن يلحظ السامعون أن لغاتهم الأصلية مخالفة ، ومن أجل ذلك فإن تعلم اللغات الأجنبية لدى المعاهد المتخصصة تصون اللسان من الملكنة التي قد تداخله .

(١٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٧ .

(١٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ .

وقد لاحظ الجاحظ أن العجم وبعض العرب الذين عاشوا بينهم قد اعترتهم
اللكنة ، ويذكر الجاحظ مجموعة من خطباء وشعراء العجم الذين لم يتخلصوا
من لكتهم مثل زياد الأعجم ، أحد شعراء الدولة الأموية ، الذي كان يجعل السين
شينا ، والطاء تاء ، فاذا أُنشد قوله :

فتى زاده السلطان في الودِّ رفعةً إذا غير السلطان كلَّ خليل
فانه كان يقول : فتى زاده الشلتان ، .

ومثل 'سحيم' عبد بنى الحساس ، وهو هيد حبشي شاعر قتل في خلافة
عثمان ابن عفان ، وكانت لكته في قلب الشين إلى سين (١٥) .

والكثير منهم يقلبون بعض حروف الحلق وخاصة الحاء والعين ، وهذا شائع
بيئنا الآن ، فتقلب الحاء إلى هاء والعين إلى همزة ، كما تشيع أيضا لكتة قلب
القاف إلى كاف ، والصاد إلى سين ، والطاء إلى تاء ، والضاد إلى دال .

٥ - عيوب التكلف :

قد يخلق المتكلم سليم الأعضاء ، وليس بها قصور يمنعها من أداء وظائفها
الكلامية ، ولم تؤثر فيها عوامل خارجية توجهها وجهة غير صحيحة في النطق ،
لكن قد تداخلها عوامل مزاجية رغبة من صاحبها في أن يسلك مسلكا وعرا ،
يسكلفه جهدا فوق طاقاته ، فانه سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان مختلفا في قدراته
وطاقاته ، لكن بعض الناس يطلب من قدراته أن تؤدي ما هو فوق إمكاناتها ،
ومن ثم يأتي أداؤها ناقصا مشوها فلا تصل تلك القدرات إلى أداء ما فوقها ،
كالم تحتفظ بأدائها الموسوم بها ، أي أنها قد افترقت أداؤها عندما حاولت أن
تسمو فوق طاقاتها ، ولم تصل إلى غاياتها بتلك القدرات المتواضعة ، فقد يوهب
خطيب الجهارة ، وسعة الشدقين ، والحلق ، وطول النفس ، والدكاء الذي

يبنى له الوصول إلى قلوب السامعين ، فيحاول بعض الذين لم ينالوا حظه من الخلق أن يصلوا إلى فصاحته في القول ، وقدرته على التأثير في سامعيه ، فيخرج كلامهم وقد غلبت عليه الصنعة والتكلف ، فلا يقع في آذان سامعيه إلا موقع الاستمجان ، والنفور ، والاستهزاء ، وسبب ذلك أنه وضع نفسه في مكانة غيره ، فشعر الناس بالفرق بينه وبين من يقلده وارتسمت في أذهانهم صورته الموسومة بالنقيصة ، كما ارتسمت صورة المثال الذي يقلده بالكمال التام ، فازدادت الهوة بينهما ، واتسعت الفارقة بهذا التكلف ، وبهذا المسلك الصعب الذي سار فيه . ولو احتفظ المتكلف بقدراته وأعطاها حقها ، ولم يقصرها على ما فوق طاقتها ، لما التصقت به نقيصة ، ولما وجهت إليه ضروب اللوم ، ولما اقترنت صورته بصورة من هو أعلى منه درجة .

وقد تنبه القدماء إلى هذه الحقيقة .. والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ، ويؤنبون العي ، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء ، وتعاظيا مناظرة البلغاء ، تضاعف عليهما الدم ، وترادف عليهما التأنيب ، ومئات العي الحصر البليغ المصقع ، في سيل بمائة المقطع المفحم ، للشاعر المفلق ، وأحدهما ألوم من صاحبه ، والألسنة لإنيه أسرع . (١٦) .

و نستطيع أن نوجز مظاهر التكلف في التي تفسد الفصاحة ، ونرى منها :

(أ) العي الذي يتكلف الخطابة ، والحصر الذي يقف موقف المصانع :
وكلاهما قد كلف نفسه فوق طاقتها ، ووقف موقفا ليس أهلا له فظهر عجزه الشديد ، وموقف كل منهما يشبه موقف الضعيف الهزيل الذي يلاكم أو يصارع أحد

أبطال العالم المحترفين ، وهو موقف يثير الضحك لدى بعض الناس ، كما يثير الشفقة لدى الآخرين .

وكلا العبي والخصّر غير فصيح ، لكن تكلفهما مسكاة الفصحاء يزيدهما انتقاصا ، ويؤكد مدى بعدهما عنها .

(ب) التشادق والتعقير والتعقيب :

والتشادق قد يكون بأن يفتح التكلم فيه حتى يزداد اتساعا ، أو أن يلوى شدقه بالكلام من أجل التشبه بالفصحاء ، أما التعقير : فهو أن يتكلم الناطق بأقصى فهمه ، أى أنه ينقل مخارج الحروف الامامية إلى ما فوق الحلق ، أما التعقيب : فهو شبيه بالتعقير . وتوجد كلمات أخرى للدلالة على هذا المعنى هي :

المقمنة : هي التكلم بأقصى الحلق .

التفريق : هو التوسع في ملء الفم بالهواء الذى يحمل الصوت ، وهو مأخوذ من الفرق بمعنى الامتلاء والاتساع .

ويبدو أن هذه الصفات كانت متعلقة بالعرب سكان الصحراء الذين قد خلقت لهم صدور واسعة تمتلئ بالهواء ، وأنوف كبيرة ، وأشدق رجة ، مما يتناسب مع بيئتهم التى يعيشون فيها ، ومن ثم خرجت أصواتهم قوية خشنة غليظة ، حتى يتمكن العربى من إرسال صوته إلى أقصى مكان ليترجى إبله ، ويفزع عدوه ، ويستغيث عند نزول الكرب . وغالبا ما يستحب من الخطيب فى هذه البيئة أن يكون صوته بهذه الكيفية ، لأن سامعيه قد تعودوا هذا اللون من الصوت ، وربما قد صار من المقبول بعد ذلك أن يأتي صوت العربى فى البداية بهذه الصورة ، لأن المستمعين لديهم حاسة الذوق التى تستجيب وتعنى هذا الصوت ، لكن الحضرى الذى يصطنع هذه الصفات الصوتية يثير فى نفس سامعيه التقزز والنفور .

ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التشادق والتفريق فى الكلام ،

وعاب المتشادقين والثرائرين ، والذي يتخلل بلسانه تغلل الباقرة بلسانها ، والأعرابي المتشادق ، وهو الذى يصنع بكفيه وبشقيقه مالا يستجيزه أهل الأدب من خطباء المدر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبغضكم إلى الثرائرون المنفيقون ، وقال د إياي والتشادق ، وقال د من بدأ نجفًا (١٧) .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا السلوك الكلامي مرتبط بالآداب الإسلامية المتصلة بالحديث والمجالس ، وهى آداب حضارية بلاشك ، كما أنه يتفرع عن نهى عام هو الاتصاف بصفات الجاهلية التى يغلب عليها الجفاء ، وقد ترى لدى المسلمين ذوق جديد نماء الإسلام ، وهذا به سلوك المسلمين داخل مجتمعاتهم الجديدة ، ذلك الذوق الذى يتألف من كل مايؤذى الشعور العام ، سواء كان قولاً أم فعلاً .

والتشادق والنفيق والتعير وما شابه ذلك سلوك صوتي قد نحتماه الذوق الإسلامى الجديد ، ولا يقبل من الخطباء والمتكلمين وخاصة أهل القرى الذين يتشبهون بأهل البادية فى نظمهم .

(ج) قد يتكلف الخطيب أو المتكلم ، فيقف موقفًا لا يقدر عليه : وهو انطلاق من سوء العادة ، والمسلك المزاجي المخالف لسلوك الأسوياء ، كأن يخطب خطيب خطبا فى مقام لا يناسبه ، وبعد أن يقف بين الناس يكتشف حقيقة نفسه ، أو تهرب منه ألفاظه ومعانيه ، ولا تسعفه قريحته بما ينقذه من موقفه هذا ، عند ذلك تظهر عليه علامات ومظاهر لا تستحب من الخطيب ، وتقلل من فصاحته ، وهى :

النخحة والسعلة : وهما دليلان على أن الخطيب قد كبا زنده ، ونبا حده ، وليس لديه ما يخفى به عجزه ، إلا ذلك السعال وتلك النخحة ، وهما إشارة لدى سامعيه بضعفه الذى يقلل من قدرته الخطابية عندهم ، فيزولونه من مكانته

الرفيعة إلى مكانة وضيفة، لأنه خيب ظنهم، وفاجأهم بما لم يتوقعوه عنده،
وقد ذم القدماء هذين المظهرين، قال بشر بن المعتمر:

ومن الكبارِمةُ ولُّمتُ متعتُ جم التخنح متعبٌ مبهورُ
وقال الأشل البكري:

نَحْنُجْ زَيْدٌ وَسَمَلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسَلُ
وَيْلُ أُمِّهِ إِذَا ارْتَجَلَ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَمَلُ
وقال سحيم بن حفص:

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِمْمَالِ ومن كلال الغرب في المقال
• ومن خطيب دائم السعال^(١٨)

وشبيهه بالنحضة والسعال في هذا الأثر البهر والارتعاش والرعدة
والعرق، وهي إشارات دالة على أن الخطيب ليس متمكناً مما يقول، وليس
مالكاً لزام القول الفصيح الذي يصدر عن متكلم فصيح، له ملكة يقتدر بها
على ذلك القول. والمتكلم الفصيح لا يضطرب، ولا يصاب بهذه الظواهر لأنه
قوى موهوب متمكن.

ويقول أبو مسمار العكلى في مثل هذا النوع من الخطباء:

لله درء عامر إذا نطق في حفل إملاك وفي تلك الحلق
ليس كفوم يعرفون بالسرق من خطب الناس وئماً في الورق
يلفقون القول تلفيق الحلق من كل نصاح الذفارى بالعرق
• إذا رمته الخطباء بالحقد •

ومن نتائج تسكف هذه المواقف عدم مراعاة ما يجب أن يكون الكلام
عليه، فيتصف كلامه بالملح والخطأ، وغير ذلك من العيوب التي تقلل من
الفصاحة.

(١٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٠ - ص ٤٢ •

(و) ومن العيوب أيضاً الثثرة وعدم مراعاة أذواق السامعين وقدراتهم العقلية .

هذه عيوب أو أمراض قد تصيب المتكلمين والكلام، وهي بدورها أمراض للفصاحة التي تستهدف الوضوح والإبانة، لكن هذه العيوب التي تحدثنا عنها تبعد الكلام عن الفصاحة، وتسد الطريق إليها .

والفصاحة لا تكون فقط في الكلام المنطوق المؤدَّى، بل تتمثل أيضاً في الكلام المكتوب، وهو الذي قد افتقد كثيراً من صفات وخصائص الكلام المنطوق، لكنه مرتبط بخصائص أخرى .

وهذا ما سنحاول أن نعالجه في الصفحات القادمة إن شاء الله، متلمسين العوائق التي تذهب الفصاحة عن ذلك الكلام المكتوب، وتسد الطريق إليها .